

## سورة ق

هي مكية إلا آية ٣٨ مدنية، وعدة آياتها خمس وأربعون، نزلت بعد المرسلات .  
ومناسبتها لما قبلها - أنه أشار في آخر السورة السابقة إلى أن إيمان أولئك الأعراب  
لم يكن إيماناً حقا ، وذلك يقتضى إنكار النبوة وإنكار البعث ، وافتتح هذه السورة  
بما يتعلق بذلك .

حدّث مسلم وغيره عن جابر بن سمرة أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ هذه  
السورة في الركعة الأولى من صلاة الفجر .

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي واقد الليثي « أنه صلى الله عليه  
وسلم كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت » .

وأخرج أبو داود والبيهقي وابن ماجه عن أم هشام بنته حارثة قالت « ما أخذت  
(ق - والقرآن المجيد ) إلا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بها في كل  
جمعة على المنبر إذا خطب الناس » .

وكل ذلك دليل على أنه كان يقرأ بها في الجامع الكبيرة كالعيدين والجمع ،  
لاستهاها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والحساب والجنة والنار والثواب  
والعقاب والترغيب والترهيب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ  
الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أءَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ  
بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ  
كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (٥)

## شرح المفردات

المجيد من المجد ، وهو كما قال الراغب: السعة فى الكرم من قولهم: مجدت الإبل إذا وقعت فى مرعى كثير واسع ، وُصف به القرآن لكثرة ما تضمنه من المكارم الدنيوية والأخروية ، رجع بعيد: أى بعث بعد الموت بعيد عن الأوهام ، ما تنقص الأرض: أى ماتا كل من لحوم موتاهم وعظامهم ، حفيظ: أى حافظ لتفاصيل الأشياء كلها ، بالحق: أى بالنبوة الثابتة بالمعجزات ، مريح: أى مضطرب من قولهم: مرج الخاتم فى إصبعه إذا قلق من الهزال .

## الإيضاح

( ق ) تقدم أن قلنا غير مرة إن الحروف المفردة التى جاءت فى أوائل السور حروف لتنبية السامع إلى ما يرد بعدها ، وأكثر ما جاء ذلك إذا ورد بعدها وصف القرآن كما هنا .

( والقرآن المجيد ) أقسم الله سبحانه بكتابه الكثير الخير والبركة — إنك أيها الرسول جئتكم منذرا بالبعث ، يدل على ذلك قوله تعالى « يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ — إلى أن قال — لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاءَهُمْ » .

( بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ) أى إنك جئتكم منذرا بالبعث فلم يقبلوا ولم يكتفوا بالشك فى أمرك ورد رسالتك ، بل جزموا بنفيها ، وجعلوها من عجائب الأمور التى تستحق الدهشة ، وكثير التأمل والاعتبار .

ثم فسر تعجبهم وفصل محل التعجب وهو إنذاره بالقرآن فقال :

( فقال الكافرون هذا شئ عجب ) أى فقال المكذبون بالله ورسوله من قريش

إذ جاءهم منذر منهم : هذا شئ عجب أى إن محمداً رجلاً منا برسالة من الله إلينا

أمر عجيب ، هلا أنزل إلينا ملكا فيكون لنا نذيرا ، كما حكي عنهم من قولهم :  
« أَبَشْرًا مِثًّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ » وقوله حكاية عنهم « قَالُوا مَا أَتَمُّ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُنَا » .

وبعد أن أظهروا التعجب من رسالته أظهروا استبعاد ما جاء به فقالوا :

( أنذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ) أى أحين نموت ونصير ترابا نرجع  
كما يقول النذير ؟ إن ذلك الرجوع بعد الموت لبعيد عن الأوهام لا يصدقه العقل  
وتحمله العادة .

ثم أشار إلى دليل جواز البعث وقدرته تعالى عليه فقال :

( قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ) أى قد علمنا ما تأن كل الأرض من لحوم  
موتاهم وعظامهم ، ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان ، وأين ذهبت ، وإلى أين  
صارت ؟ فلا يصعب علينا البعث ولا يستبعد .

ثم أكد علمه بجميع الأشياء فقال :

( وعندنا كتاب حفيظ ) أى وعندنا كتاب حافظ لتفاصيل الأشياء كلها ،  
وهذا تمثيل لحال علمه تعالى للسكانات جميعا علما كاملا يعلم من عنده كتاب حفيظ  
يتلقى منه كل شيء ، فيضبط ما يعلم أتم الضبط ويحصيه أكل الإحصاء .

ثم حكي عنهم ما هو أفظع من تعجبهم وهو تكذيبهم بالنبوة الثابتة بالمعجزات  
من أول وهلة بلا تدبر ولا تفكير فقال :

( بل كذبوا بالحق لما جاءهم ) أى بل كذبوا بالنبوة التي قامت الأدلة على صدقها  
وأيدتها المعجزات الباهرة ، وهم إذا كذبوا بها فقد كذبوا بما أنبأ به الرسول من  
البعث وغيره ، ولا شك أن هذا الإنكار أعظم جرما وأشد بلية من الإنكار بما جاء  
به الرسول ، إذ به أنكروا الصلة الروحية بين الله ومن يصطنيه من خلقه من ذوى  
النفوس الصافية وأزباب الأرواح العالية .

( فهم في أمر مريج ) أى فهم في قلق واضطراب ، فتارة يفنون الرسالة عن البشر ،

وأخرى يزعمون أنها لاتليق إلا بأهل الجاه والرياسة كما نبى بهذا قولهم : « لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَوَاتِينِ عَظِيمٍ » وثالثة يقولون : إنها سحر أو كهانة إذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ساحر أو كاهن إلى نحو ذلك من أقوالهم التي تدل على اضطراب فى الأمر وقلق فى الفكر ، فهم لا يدرون ماذا يفعلون حين جاءهم النذير الذى أفض مضاجعهم ، وجعلهم حيارى دهشين ، إلام هم صائرون ؟ وإلى أى منقلب ينقلبون ؟

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّزْجًا مَّزْجًا وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبْتَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)

### شرح المفردات

بنيناها : أى أحكنا بنائها ، فجعلناها بغير عمد ، وزيناها : أى بالكواكب ، فروج . أى شقوق ، مددناها : أى بسطانها ، رواسي : أى جبالا ثوابت تمنعها من الميد والاضطراب ، زوج : أى صنف ، بهيج : أى ذى بهجة وحسن ، تبصرة وذكرى : أى تبصيرا وتذكيرا ، منيب : من أناب إذا رجع وخضع ، حب الحصيد : أى حب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالبر والشعير ، باسقات : أى طويلات ،

والطلع ما ينمو ويصير بلحاظ رطبها ثم تمرا، ونضيد: أى منضود بعضه فوق بعض،  
الخروج: أى من القبور.

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر أنهم استبعدوا البعث فقالوا رجع بعيد — أردف ذلك بالدليل  
الذى يدحض كلامهم ، فإن من خلق السماء وزينها بالكواكب ، وبسط الأرض  
وجعل فيها رواسى وأثبت فيها صنوف النبات ، وجعل ذلك تذكرة وتبصرة  
لأولى الألباب ، ونزل من السماء ماء فأثبت به ناضر الجنان ، والزرع المختلف  
الأصناف والألوان ، والنخل الباسق ذا الطلع المترام بعضه فوق بعض رزقا لعباده ،  
وأحيا به الأرض الموات — أفلا يستطيع من هذا شأنه أن يخرج الناس من قبورهم  
بعد بلام وبعد أن يصيروا عظاما ورفاتا ، وينشئهم خلقا آخر فى حياة أخرى وعالم  
غير هذا العالم ؟

### الإيضاح

( أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ) أى أفلم  
ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت المنكرون قدرتنا على إحيائهم بعد البلى —  
إلى السماء فوقهم كيف رفعناها بلا عمد ، وزيناها بالكواكب وما لها من فتوق ، فهى  
ملاء متلاصقة الطباق ، وهذا هو رأى الحديث فى عالم السموات ، إذ يقولون  
إن هناك علما لطيفا أرق من الهواء وألطف من كل ما نراه وهو مبدأ كل شىء وأول  
كل شىء وهو العالم المسمى بالأمير ، وهذا العالم وإن لم يره الناس فقد عرفوه من  
وصول أضواء الكواكب إلينا ، فإن من الكواكب ما لا يصل ضوءه إلينا إلا فيما  
يزيد على ألف سنة ، ونور الشمس ( التى تبعد عنا مقدار سير القطار إليها

لو أمكن في نحو خمس وستين وثلثمائة سنة ) يصل إلينا في مدة ثمان دقائق وثمانى عشرة ثانية .

فانظر كيف يكون بُعد تلك الكواكب التى تحتاج بسير النور إلى مليون سنة ونصف مليون ؛ ألا يدل هذا على أن ذلك الضوء محمول على شيء موجود وهو الأثير فلو أن طبقة من الطبقات لم يكن فيها الأثير لا تقطع سير النور إلى الأرض ولم نره . وهذا ما يشير إليه الكتاب بقوله : « وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ » فلو كان هناك فروج تتخلل السموات لا تقطع سير النور إلينا .

وأراء الجهة في كل أمة أن كل سماء منفصلة عن الأخرى وبينهما فضاء كما يظن لأول وهلة فيما بيننا وبين السماء ، فجاء الكتاب الكريم وعكس هذه القضية وقال لافروج في السماء أى لاخللاء في العالم .

( والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج )  
أى والأرض بسطناها وألقينا فيها جبلا ثوابت لئلا تميد وتضطرب ، وأنبتنا فيها من كل صنف من صنوف النبات ما حسن منظره ، وراق مخبره .

( تبصرة وذكري لعل عبد منيب ) أى فعلنا ذلك لتبصرة العبد المنيب وادكاره ، فإن رفعت السماء أو زيتتها بالكواكب فلاستبصاره ، وإن بسطت الأرض أو أرسيتها بالجبال أو أنبت النبات زينة للأرض فلاعتباره .

ثم شرع يبين كيفية ما ذكر من إنبات كل زوج بهيج فقال :  
( ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد ) أى ونزلنا من السماء ماء كثير المنافع ، إذ أنبتنا به جنات غناء ، وحدائق فيحاء ، وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالشعير والقمح وغيرها .

( والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد ) أى وأنبتنا به النخل الطوال التى لها طلع منضود متراكم بعضه فوق بعض ، لأقوات العباد وأرزاقهم .

عن قطبة قال : «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصباح قَلْ مَا آتَى عَلَىٰ هَذِهِ آيَةٌ - وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ - فجملت أقول ما بسوقها ؟ قال طولها » أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه .

ولم يقيد هنا العباد بالإنباء كما قيد به في قوله : « تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ » لأن التذكير لا تكون إلا للنبى ، والرزق يعم كل أحد ، غير أن المنيب يأكل ذاكراً وشاكراً للإنعام ، وغيره يأكل كما تأكل الأنعام ، ومن ثم لم يخص الرزق بقيد .

( وأحيينا به بلدة ميتاً ) أى وأحيينا بذلك الماء الأرض الجديدة التى لانبات فيها فَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .

ثم جعل ماسلف كالدليل على البعث لأنه شبيه به فقال :

( كذلك الخروج ) أى ومثل هذه الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور .

وفى التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء ، وعن إحياء الموتى بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث ، وتحقيق المماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس ، وتقريبه لأفهام الناس .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ  
وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبَعِّ كُلُّ كَذِّبِ الرُّسُلِ  
حَقَّقْ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَمِينَا بِالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ  
جَدِيدِ (١٥) .

### شرح المفردات

الرس : البئر التى لم تطو أى لم تبين ، وأصحابه هم من بعث إليهم شعيب عليه الصلاة والسلام ، والأيكَة : الغنضة الملتفة الشجر ، تبع : هو تبع الحميرى ، والمينى

عن الأمر. العجز عنه : قال الكسائي تقول أعيتت من التعب ، وعيتت من العجز عن الأمر واقطاع الحيلة ، ولبس : أى شك شديد وحيرة واختلاط .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر تكذيب المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم — أردف ذلك بذكر المكذبين للرسول من قبله وبيان ما آل إليه أمرهم ، تسليمة لرسوله صلى الله عليه وسلم وعبرة لهم ، وتنبيها إلى أن حاله معهم كحال من تقدمه من الرسل ، كذبوا فصبروا فأهلك الله مكذبيهم ونصرهم وأعلى كلمتهم كما قال : « وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ » وقال : « وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالَمُونَ » .

وبعد أن ذكر دلائل الآفاق من خلق السموات والأرض أعقبه بذكر دلائل الأنفس كما قال : « سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ » .

### الإيضاح

( كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود . وعاد وفرعون وإخوان لوط . وأصحاب الأيكة وقوم تبع ، كل كذب الرسل فحق وعيد ) هدد سبحانه كفار قريش بما أحله بأشباههم ونظرأهم من المكذبين قبلهم من النقم والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، فقد أغرق قوم نوح بالطوفان ، وأهلك جميع من ذكروا بعدهم من الأمم التي كذبت رسلها بضروب شتى من العذاب ، وحق عليهم وعيد ربهم ، ونصر الله أنبياءه وأعلى كلمتهم وكانت العاقبة للمتقين ، وقد تقدمت هذه القصص في مواضع متفرقة من الكتاب الكريم .

ثم ذكر ما يؤكده صحة البعث الذي أنكرته الأمم المكذبة فقال :  
( أفعمينا بالخلق الأول ؟ بل هم في لبس من خلق جديد ) أى أفأعجزنا ابتداء

الخلق حتى يشكوا في الإعادة ؟ أى إن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل من الابتداء ، فلاحق لهم في تطرق الشبهة إليهم والشك فيه ، كما قال : « وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ » وقال : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » وجاء في الحديث القدسي : « يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته » .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) .

### شرح المفردات

الوسوسة : الصوت الخفي ومنه وسواس الخلق ؛ والراد بها هنا حديث النفس وما يخطر بالبال من شتى الشئون ، وحبل الوريد : عرق كبير في العنق ، وللإنسان وريدان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه ، وقعيد : بمعنى مقاعد كالجليس بمعنى المجلس ، والرقيب : ملك يرقب قوله ويكتبه ، فإن كان خيرا فهو صاحب اليمين ، وإن كان شرا فهو صاحب الشمال ، عتيد : أى مهيا لكتابة ما يؤمر به من الخير والشر ، سكرة الموت : شدته ، بالحق : أى بحقيقة

الحال ، تحيد : أى تميل وتعدل ، يوم الوعيد : أى يوم إنجاز الوعيد ، السائق والشهيد : ملكان أحدهما يسوق النفس إلى أمر الله ، والآخر : يشهد عليها بعملها ، والغطاء : الحجاب المنطى لأمور المعاد ، وهو الغفلة والانهماك فى اللذات وقصر النظر عليها ، حديد : أى نافذ ، نزوال المانع للإبصار .

### المعنى الجملى

بعد أن استدل على إمكان البعث بقوله : أَفَمَيِّمِنَا بِاتِّخَالِقِ الْأَوَّلِ — أردف ذلك بدليل آخر على إمكانه وهو علمه بما فى صدورهم وعدم خفاء شئ من أمرهم عليه ، فإن من كان كذلك لا يبعد أن يعيدهم كرة أخرى ، ثم أخبر بأنهم سيعلمون بعد الموت أن ماجاء به الدين حق لاشك فيه ، وأنه يوم القيامة تأتى كل نفس ومعها ملكان أحدهما سائق لها إلى المحشر والثانى شهيد عليها ، وأن الخزنة سيقولون لأهل النار : لقد كنتم فى غفلة عن حلول هذا اليوم الذى توفى كل نفس جزاء ما عملت ، والآن أزلنا عنكم هذه الغفلة فأبصرتم عاقبة أمركم . .

### الإيضاح

(واقعد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أى إنه تعالى قادر على بعث الإنسان ، لأنه خالقه وعالم بجميع أموره حتى إنه ليعلم ما توسوس به نفسه من الخير والشر ولا عقاب على حديث النفس ، وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تفعل » . (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) أى ونحن أعلم به وبمخفيات أحواله لا يخفى علينا شئ من أمره ، من علمكم بحبل الوريد ، لأن العرق تحجبه أجزاء من اللحم ، وعلم الله لا يججب عنه شئ .

أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نزل الله من ابن آدم أربع منازل ، هو أقرب إليه من حبل الوريد ، وهو يحول بين المرء وقلبه ، وهو آخذ بناصية كل دابة ، وهو معهم أينما كانوا » .

قال القشيري في هذه الآية : هيبة وفرع وخوف لقوم ، وروح وأنس وسكون قلب لقوم .

ثم ذكر سبحانه أنه مع علمه به وكل به ملكين يكتبان ويحفظان عليه عمله إلزاما للحجة فقال :

( إذ يتلقى المتلقيان ) أى نحن أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقن الحفيظان ما يلفظ به ، مع أننا أغنياء عن استحفاظ الملكين لشدة قربنا منه .

( عن اليمين وعن الشمال قعيد ) أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد ومحاسن له يترصد ما يقول ويعمل ، فالذى عن اليمين يكتب الحسنات ، والذى عن الشمال يكتب السيئات .

قال الحسن وقتادة : المتلقيان ملكان يتلقيان عمالك : أحدهما عن يمينك ويكتب حسناتك ، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك .

ثم ذكر عملهما واستعدادهما لأدائه فقال :

( ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) أى لا يلفظ بكلمة من فيه إلا لديه ملك حاضر معه مراقب لأعماله ، يكتب ما فيه ثوابه أو عقابه .

قال الحسن البصرى وتلا هذه الآية ( عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ )  
يا بن آدم بسطت لك صحيفة ، ووكل به ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ،  
والآخر عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن يسارك  
فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت ، أقلل أو أكثر ، حتى إذا مت طويت صحيفةك  
وجعلت في عنقك ممك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة ، فعند ذلك يقول تعالى :

« وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمِنَاهُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » ثم قال : عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك .

وروى أبو أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرة ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر » .

والحكمة في هذا أن الله لم يخلق الناس لتعذيبهم ، بل خلقهم لتريتهم وتهذيبهم فكل ألم فهو لرقى النفس ، والعالم المادى من طبيعه أن يكون نفعه أكثر من ضره ، والله تعالى خلقنا لغاية شريفة لنا ، والحسنات هى الأصل والسيئات عارضة ؛ كما أن المنافع فى الطبيعة هى الأصل والمضارّ عارضة ، فالتار خلقت لنفعه ، والماء لنفعه ، والهواء لنفعه ، فإذا أحرقتوب الناسك ، أو أغرق رب صبية لاعائل لهم ، فهذا عارض ، والأصل فى ذلك المنافع ، وهكذا خلق نوع الإنسان للخير ، والشر عارض ، ولفعل الحسنات ، والسيئات عارضة .

وبعد أن ذكر استبعادهم البعث للجزاء ، وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بأنهم يلاقون صدق ذلك حين الموت وحين قيام الساعة فقال :

( وجاءت سكرة الموت بالحق ) أى وكشفت لك سكرة الموت عن اليقين الذى كنت تمتري فيه ، وأن البعث لا شك فيه .

( ذلك ما كنت منه تحيد ) أى ذلك الحق الذى كنت تفر منه قد جاءك ، فلا تحيد ولا مناص ، ولا فكاك ولا خلاص .

ولما نقل أبو بكر جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بقول حاتم :

لعمرك ما يعنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف رضى الله عنه عن وجهه وقال : ليس كذلك ، ولكن قولى :  
 « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ »

وفى الصحيح « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تعشاه الموت جعل يمسح العرق  
 عن وجهه ويقول : سبحان الله ، إن للموت لسكرات » .

( ونفتح فى الصور ذلك يوم الوعيد ) أى ونفتح فى الصور نفخة البعث ، وذلك  
 الزمان العظيم الأهوال هو اليوم الذى أوعده الله الكفار أن يعذبهم فيه .

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كيف أنتم وصاحب القرن  
 قد التتم القرن وحتى جهنمه وانتظر أن يؤذن له ؟ قالوا يارسول الله ماذا تقول ؟ قال :  
 قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل » .

( وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ) أى وجاءت فى هذا اليوم كل نفس  
 ربها ومعها سائق يسوقها إلى الله ، وشهيد يشهد عليها بما عملت فى الدنيا من  
 خير أو شر .

( لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد )  
 أى لقد كنت أيها الإنسان فى غفلة من هذا الذى عاينت من الأهوال والشدائد ،  
 فجلينا ذلك لك ، وأظهرناه لعينيك حتى رأيت به وعينته ، فزال عنك الغفلة .  
 وقد جعل سبحانه الغفلة غطاء غطى به الجسد كله ، أو غشاوة غشى بها عينيه  
 فلا يبصر شيئا ، فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها ، فأبصر  
 ما لم يكن يبصره من الحق .

وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي (٢٣) أَتَقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ  
 عَنِيدٍ (٢٤) مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُمْتَدٍّ مَّرِيْبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ  
 فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ

فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ  
بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ تَقُولُ  
لِحِجَمِهِمْ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠)

### شرح المفردات

القرين : هو الملك الموكل بالمرء ، عتيد : أى معدّ مُحضّر ، عنيد : أى مبالغ  
في العناد وترك الانقياد للحق ، مناع للخير: أى كثير المنع للمال في الحقوق المفروضة  
عليه، معتد : أى متجاوز للحق ظالم ، مريب: أى شكّ في الله وفي دينه ، القرين هنا :  
الشیطان المقيض له ، بعيد : أى من الحق ، لا تختصموا لى : أى لا يجادل بعضكم  
بعضاً عندي ، بالوعيد : أى على الطغيان في دار الدنيا في كتيبى وعلى السنة رسلى ،  
مايبدل القول لى : أى لا يقع فيه الخلف والتغيير فلا تطمعوا أن أبدل وعيدى ،  
مزید : زيادة .

### الإيضاح

( وقال قرينه هذا مالى عتيد ) أى وقال الملك الموكل به : هذا الذى وكلتني به  
من بنى آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله .

( ألقيا في جهنم كل كفار عنيد . مناع للخير معتد مريب . الذى جعل مع الله  
إلهاً آخر ) أى قال تعالى للسائق والشهيد : ألقيا في جهنم كل من كفر بالله وكذب  
بالحق وعارضه بالباطل ، ومنع الحقوق المفروضة عليه ، واعتدى على الناس بلسانه  
بالبداء والفحش ، وييده بالسطوة والبطش ظلماً ، وشك في وحدانية الله وقدرته على  
ما يشاء ، وأشرك به فعيد معه معبوداً سواه من خلقه .

ثم كرر ما سلف توكيده فقال :

( فألقياه في العذاب الشديد ) أى فألقياه في النار ذات العذاب الشديد .  
 ( قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ) أى فقال الكافر  
 معتذرا : رب إن قرينى من الشياطين أطفانى ، فقال الشيطان المقيض له : ربنا  
 ما أطغيته ، ولكن كان طبعه وديدنه الضلال والبعد عن الحق ، فسار على النهج  
 الذى يشاكل أخلاقه .

وخلاصة ذلك — إنه في ضلال بعيد المدى لا يرجع عنه إلى الحق :

ونحو الآية قوله : « وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ  
 فَاسْتَجَبْتُمْ لِي » .

( قال لا تختصموا لى وقد قدمت إليكم بالوعيد ) أى قال عز اسمه للإنسى  
 وقرينه من الجن حين اختصما ، فقال الإنسى : رب إن هذا أضلنى عن الذكر بعد  
 إذ جاءنى ، وقال الشيطان : ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد عن منهج  
 الحق — لا تختصموا عندى ، فقد أعذرت إنىكم على السنة الرسل وأنزلت الكتب ،  
 وقامت عليكم الحجج .

والخلاصة — إنهم اعتذروا بغير ما يصلح أن يكون عذرا ، فأبطل الله حججهم  
 ورد عليهم قولهم .

( ما يبديل القول لى ) أى لا يغير قضائى الذى قضيته ، ووعيدى الذى أوعدته  
 بتخليد الكفار فى النار ومجازاة العصاة على قدر ما يستحقون .  
 ( وما أنا بظلام للعبيد ) فلا أعذب أحدا بغير جرم اجترمه ، ولا ذنب جناه ،  
 ولا أعذب أحدا مكان أحد .

ثم ذكر مكان حلول الوعيد فقال :

( يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ) أى وأنذر قومك يوم  
 نقول لجهنم هل امتلأت بما ألقى إليك فوجا بعد فوج ؟ فتقول لامزيد بعد ذلك .

وفى هذا بيان لأنها مع اتساعها وتباعد أقطارها ، يطرح فيها من الجنة والناس جماعات بعد جماعات حتى تمتلئ ولا تقبل الزيادة .

وهذا السؤال والجواب جرى بهما للتتمثيل وتصوير المعنى بإبرازه فى لباس المحسوس ليتضح أمره .

روى عن ابن عباس أنه قال : سبقت كلته : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، فلما سبق أعداء الله إليها صارت لا يلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شئ ، فتقول : ألسنت قد أقسمت لئلا تلقى ؟ فيضع قدمه عليها فيقول : هل امتلأت ؟ فتقول : قطّ قطّ ( كفى كفى ) قد امتلأت وليس من مزيد .

وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ  
أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣)  
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا  
مَزِيدٌ (٣٥) .

### شرح المفردات

أزلفت : أى أدنيت وقرّبت ، غير بعيد : أى فى مكان غير بعيد منهم بل هو بمرأى منهم ومسمع ، هذا ما توعدون : أى هذا هو الثواب الذى وعدتم به على أسنة الرسل ، أوّاب : أى رجاع عن المعصية إلى الطاعة ، حفيظ : أى حافظ لحدود الله وشرائعه ، خشى الرحمن بالغيب : أى خاف عقاب ربه وهو غائب عن الأعين حين لا يراه أحد ، منيب : أى مخلص مقبل على طاعة الله ، بسلام : أى سالمين من العذاب وزوال النعم ، الخلود : أى فى الجنة إذ لاموت فيها ، مزيد : أى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر الحوار بين الكافر وقرينه من الشياطين ، واعتذار الكافر ورد القرين عليه ، وأن الله سبحانه نهاهم عن الاختصاص لديه ، لأنه لافائدة فيه بعد أن أوعدهم على السنة رسله — أردف هذا بذكر حال المتقين ، فذكر أن الجنة تكون قريبة منهم بحيث يرونها رأى العين ، فتطمئن إليها نفوسهم ، وتلج لمرآها صدورهم ، ويقال لهم هذا هو الثواب الذى وعدتم به على السنة الأنبياء والرسل ، وهو دائم لانفاد له ولا حصر ، فكل ما يريدون من لذة ونعيم فهو حاضر ، ولهم فوق هذا رضوان من ربهم « وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ » .

## الإيضاح

( وأزلقت الجنة غير بعيد ) أى وأدريت الجنة للذين اتقوا ربهم واجتنبوا معاصيه ، بحيث تكون برأى العين منهم ، إكراماً لهم ، واطمئناناً لنفوسهم ، فيرون ما أعد لهم من نعيم وحبور ، ولذة وسرور ، لانفاد له ولا فناء .

( هذا ما توعدون ) أى وتقول لهم الملائكة : هذا هو النعيم الذى وعدكم به ربكم على السنة رسله ، وجاءت به كتبه ، ثم بين المستحق لهذا النعيم فقال :

( لكل أبواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ) أى هذا الثواب للمتقين الذين يرجعون من معصية الله إلى طاعته تائبين من ذنوبهم ويلقبون الله بقلوب منيبة إليه ، خاضعة له .

( ادخلوها بسلام ) أى وتقول لهم الملائكة تكمية لهم : ادخلوا الجنة سالمين من العذاب والهموم والأكدار ، فلا خوف عليكم ولا أتم تحزنون .

ثم يبشرون ويقال لهم :

( ذلك يوم الخلود ) أى فاطمئنوا وقرؤا عينا ، فهذا يوم الخلود الذى لاموت

بمده ، ولا ظعن ولا رحيل .

ثم زاد فى البشرى فقال :

( لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ) أى لهم إجابة لسؤلهم كل ما يشتهون ،  
ثم تزيدهم فوق ما سألوا مما لم تره أعينهم ولم يدبر بخلدهم .  
ونحو الآية قوله : « الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ » .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ  
هَلْ مِنْ مَّجِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ  
وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ  
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ  
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ  
النُّجُودِ (٤٠) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادَى الْمُنَادَىٰ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ  
يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ  
وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا  
يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ  
مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)

### شرح المفردات

القرن : الجيل من الناس ، بطشاً : أى قوة ، فنقَّبوا فى البلاد : أى ساروا فيها  
يبتغون الأرزاق والمكاسب ، ويقال لمن طوف فى الأرض نقَّب فيها .  
قال امرؤ القيس :

فقد نقَّبْتُ فى الآفاق حتى رَضيت من الغنيمة بالإياب

محيص : أى مهرب ، لذكرى : أى لعبرة ، قلب : أى لب يعنى به ، أو ألقى  
السمع : أى أصغى إلى ما يتلى عليه من الوحي ، شهيد : أى حاضر فهو من الشهود  
بمعنى الحضور ، والمراد به القطن ، إذ غيره كأنه غائب ، لغوب : أى تعب ، سبح  
بمحمد ربك : أى نزهه عن كل نقص ، أدبار السجود : أى أعقاب الصلوات ، واحدها  
دبر ( بضم فسكون وبضمتين ) واستجمع : أى لما أخبرك به من أهوال يوم القيامة ،  
يوم ينادى المنادى : أى يخرجون من القبور يوم ينادى المنادى ، من مكان قريب :  
أى بحيث لا ينفخ الصوت على أحد ، والمنادى هو جبريل عليه السلام على ما ورد  
في الآثار ، يقول : أيتها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، واللحوم المتمزقة ،  
والشعور المتفرقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ، والصيحة : النفخة الثانية .  
بالحق : أى بالبعث والجزاء ، يوم الخروج : أى من القبور ، تشقق : أى تتصدع ،  
بجبار : أى بمسيطر ومسلط ، إنما أنت داع ومنذر .

### المعنى الجملى

بعد أن أنذرهم بما بين أيديهم من اليوم العظيم والعذاب الأليم — أنذرهم  
بما يعجل لهم في الدنيا من ضرور العذاب ، سنة الله فيمن تقدمهم من المكذبين  
قبلهم بمن ساروا في البلاد طولا وعرضا وكانوا ذوى قوة وأيد ، ولم يعن ذلك عنهم  
من الله شيئا ، ووسط بين ذلك ذكر المتقين وما يلاقونه من النعيم ، ليكون أمرهم  
بين الخوف والطمع ، ومن ثم ذكر حال الكفور المعاند ، وحال الشكور العابد ،  
ثم ذكر أن هذا عظة وذكرى لكل ذى لبّ واعٍ سميع لما يلقى إليه ، ثم أعاد الدليل  
مرة أخرى على إمكان البعث ، فأبان أنه قد خلق السموات والأرض في ستة أطوار  
مختلفة وما أصابه تعب ولا لغوب كما قال : « أَفَعَيِّنَا بِأَخْلُقِ الْأَوَّلِ ؟ » ثم أمره  
بالصبر على ما يقولون ، وتنزيهه الله عن كل نقص آناء الليل وأطراف النهار ، فهاهو ذا  
اقترب يوم البعث والنشور ، وسمع صوت الداعى لذلك بعد النفخ في الصور ، وتشققت

الأرض سريعا وخرج الناس من القبور ، وما ذلك بالصعب على رب العالمين ، خالق السموات والأرضين ، وإنا لنعلم مايقول المشركون فى البعث والنشور ، فدعهم فى غيرهم يعمهون ، فما أنت عليهم بجبار تلمهم الإيمان بهذا اليوم ، وما فيه من هول ، إن أنت إلا نذير ، ولا يؤمن بك إلا من يخاف عقابى ، وشديد وعيدى ، ولا تنفع العظة إلا ذوى الأحلام الراجحة ، والقلوب الواعية .

## الإيضاح

(وكم أهلكنا قبائهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص ؟) أى وكثير من الأمم التى قبلك أهلكناها وكانوا أشد منهم بطشا وأكثر قوة كعاد وعمود وتبع ، فتقلبوا فى البلاد وسلوكوا كل طريق ابتغاء للرزق ولم يجدوا لهم من أمر الله مهربا ولا ملجأ حين حُمَّ القضاء ، وهكذا حالكم ، فحذار أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب العاجل فى الدنيا ، والآجل يوم القيامة .

وبعد أن ذكر فى هذه السورة وما قبلها بارع الحكم ونفائس المعارف الإلهية جملة وتفصيلا ، فمن أدب للأمة مع نبيها ، إلى أدب للأمة بعضها مع بعض ، إلى حفظ للسلام بين الناس والصلح بينهم ، وصيانة للسان من الهزؤ والسخرية والهمز واللمز ، ثم إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض ، وبذا يحل التواصل محل التقاطع ، ويتعلم الجهال ، ويجتمع الشمل ، ويخيم الأمن فى ربوع البلاد ، أبان أن تلك الزواجر لا ينتفع بها إلا ذوى الألباب فقال :

(إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) أى إن فيما تقدم لتذكرة وعبرة لمن كان له قلب واع يتدبر به الحقائق ، ويعى مايقال له . ثم أعقب ذلك بذكر ما هو كالدليل على ما سلف فقال :

(ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) أى قسنا بربك إنا خلقنا السموات والأرض وملأناها بالمعجائب فى ستة أطوار مختلفة

وما مسنا تعب ولا إعياء ، ولا تزال عجائبنا تترى كل يوم ، فانظروا إليها وتأملوا في محاسنها فهي لأخصى ، ولا يبلغها الاستقصا ، وكذبوا اليهود الذين قالوا : إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام أو لها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش ، فنحن لا يمسننا الغوب ولا إعياء .

ونحو الآية قوله : « أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِمْ مَخْلَقَتَيْنِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّمَ الْمَوْتَى ، بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

(فاصبر على ما يقولون) أى فاصبر على ما يقوله المشركون فى شأن البعث من الأباطيل التى لامستند لها إلا الاستبعاد ، فإن من خلق العالم فى تلك المدة اليسيرة بلا إعياء — قادر على بعثهم وجزائهم على ما قدموا من الحسنات والسيئات .

(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) أى وتزه ربك عن العجز عن كل ممكن كالبعث ونحوه ، حامداً له أنعمه عليك ، وقت الفجر ووقت العصر وبعض الليل ، وفى أعقاب الصلوات .

وقال ابن عباس : الصلاة قبل طلوع الشمس صلاة الفجر ، وقبل الغروب الظهر والعصر ، ومن الليل العشاءان ، وأدبار السجود النوافل بعد الغرائض .

روى البخارى عن ابن عباس قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح فى أدبار الصلوات كلها ، يعنى قوله : « وَأُدْبَارَ السُّجُودِ » وفى حديث مسلم تحديد التسبيح بثلاث وثلاثين ، والتحميد بثلاث وثلاثين ، والتكبير بثلاث وثلاثين ، وتقام المائة لإله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، ذُبُرُ كل صلاة .

(واستمع) أيها الرسول لما أخبرك به من أهوال يوم القيامة ، وفى إبهام أمره ، تعظيم لشأنه .

ثم بين ذلك الخبر وزمانه بقوله :

(يوم ينادى المنادى من مكان قريب) أى يوم ينادى المنادى من موضع قريب

فيصل نداؤه إلى كل الخلائق على السوية ، ويقول : هلموا إلى الحساب ، فيخرجون من قبورهم ويقبلون كأنهم جراد منتشر .

ثم زاد الأمر تفصيلا فقال :

( يوم يسمعون الصيحة بالحق ) أى يوم يسمعون النفخة الثانية منذرة بالبعث والجزاء على ما قدموا من الأعمال .

ثم ذكر ما يقال لهم حينئذ فقال :

( ذلك يوم الخروج ) أى هذا اليوم هو يوم الخروج من القبور .

ثم لخص ما تقدم من أول السورة إلى هنا فقال :

( إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير ) أى إنا نحن نحيي في الدنيا ونميت فيها

حين انقضاء الآجال ، وإلينا الرجوع للحساب والجزاء فى الآخرة .

( يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ) أى إلينا المصير

فى ذلك اليوم الذى تتصدع فيه الأرض فتخرج الموتى من صدوعها مسرعة ، وذلك جمع بين علينا لاعسرفيه ولا مشقة .

ثم سلى رسوله وهدد المشركين بقوله :

( نحن أعلم بما يقولون ) أى نحن أعلم بما يقولون من فريتهم على ربهم وتكذيبهم

بآياته ، وإنكارهم قدرته على البعث بعد الموت .

( وما أنت عليهم بجبار ) أى وما أنت بمسلط عليهم تقسرم على الإيمان وتسيرم

على ما تهوى وتريد ، إنما أنت نذير ، وما عليك إلا التبليغ وعلينا الحساب .

ثم أكد أنه مذكر لا مسيطر وأن التذكير لا ينفع إلا من خشى ربه فقال :

( فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ) أى فذكر أيها الرسول بهذا القرآن الذى

أنزله عليك من يخاف وعيدى الذى أوعدته من عصائى وخالف أمرى ، أى بلغ

رسالة ربك ، وما يتذكر بها إلا من يخاف وعيد الله وشديد عذابه .

ونحو الآية قوله : « فَذَكَّرْنَا بِمَا آتَتْ مُذْكَرًا . نَسْتَعْلِمُ عَلَيْهِمْ مَسِيرًا »  
 وقوله : « لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ . وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » .  
 وكان قتادة يقول : اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ، ويرجو موعودك ،  
 يا برّ يا رحيم .

### موجز لما تضمنته السورة الكريمة من الموضوعات

- (١) إنكار المشركين للنبوة والبعث .
- (٢) الحث على النظر في السماء وزينتها وبهجة بنائها ، وفي الأرض وجبالها الشامخات ، وزروعها النضرات ، وأمطارها الثجاجات .
- (٣) العبرة بالدول الممالك كعاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم تبع وما استحقوا من وعيد وعذاب .
- (٤) تقرّيع الإنسان على أعماله ، وأنه مسئول عن دخائل نفسه ، في مجلس أنه ، وعند إخوته ، وفي خلوته ، وأنه محوط بالكرام الكاتبين ، يحصون أعماله ، ويرقبون أحواله حتى إذا جاءت سكرته ، وحانت منيته ، حوسب على كل قول وكل عمل ، وشهدت عليه الشهود وكشفت له الحجب .
- (٥) إنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا .
- (٦) إن القرآن عظة وذكري لمن كان له قلب واعٍ يستمع ما يلقي إليه .
- (٧) تسلية رسوله على ما يقول المشركون من إنكار البعث وتهديدهم على ذلك .
- (٨) أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار .
- (٩) أمر الرسول بالتذكير بالقرآن من يخاف وعيد الله ويخشى عقابه .